The Impact of the COVID-19 Pandemic on Individuals' Daily Practices and Authority
A Case Study of Tunisian Society

Dr. Nciri LAKHDHAR

Research Laboratory "In Interpretive Methodologies"
Department of Sociology, Faculty of Arts and Human Sciences of Sfax,
University of Sfax, Tunisia

Science Step Journal / SSJ

2024/Volume 2 - Issue 6

doi: https://doi.org/10.6084/m9.figshare.27569424

To cite this article: Lakhdhar, N. (2024). The Impact of the COVID-19 Pandemic on Individuals' Daily Practices and Authority: A Case Study of Tunisian Society. Science Step Journal II (6), 336-358. ISSN: 3009-500X.

Abstract

This study explores the significant challenges posed by the COVID-19 crisis, particularly the early struggle to contain the virus worldwide. As countries implemented measures like lockdowns, social distancing, and mandatory mask-wearing, many people surprisingly chose not to comply. This lack of adherence often stemmed from a misunderstanding of the serious health risks involved. In Tunisia, for instance, even as infection and death rates rose sharply, many remained unaware of the pandemic's broader societal effects.

Our research seeks to understand how people's daily practices, perceptions, and attitudes evolved during this time. By observing daily events and using a descriptive approach, we aimed to create a clear picture of life in Tunisia amid the crisis. One of our key findings highlights the emergence of selfish behaviors, indifference, and a decline in both individual and collective responsibility, largely due to a weak culture of common sense.

Ultimately, overcoming the challenges of a pandemic requires everyone in society to come together. Successfully managing these health crises isn't just about medical solutions; it's also about understanding their impact on our communities. By promoting awareness and a sense of shared responsibility, we can better prepare for future challenges and strengthen our bonds as a community. Together, we can navigate the complexities of such crises and emerge more resilient.

Keywords:

Ecology, pandemic, crisis, behavior, physical distancing, social isolation, solidarity.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

أثر جائحة كورونا على الممارسات اليومية للأفراد والسلطة
المجتمع التونسي نموذجا

د. الأخضر نصيري

مخبر البحث "في المناهج التأويليّة"، قسم علم الاجتماع
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، تونس

ملخص:

تطرقنا في هذه الدراسة إلى أزمة «كوفيد-19» وتحدياتها الاستثنائية في ظل عجز المجتمع الدولي عن تطويقها في مراحلها الأولى ولجوئه إلى الحجر الصحي الجزئي، ثم الشامل، إضافة إلى فرضه التباعد الجسدي، والحجر المنزلي، وضرورة ارتداء الكمامات في الفضاءات العامة، لكنّ تراخيا كبيرا لدى الأفراد قابل هذه الإجراءات، وقد تمثل في عدم تطبيق البرتوكولات الوقائية، نتيجة عدم وعيهم بخطورة هذه الجائحة على صحتهم ووجودهم في الحياة، ففي تونس مثلا رغم تسارع وتيرة الإصابات والوفيات بالوباء المستجد، فإنّ فئات واسعة من السّكان لم تكن تدرك العواقب المجتمعية لهذه الجائحة على البلاد .

وتتمثل أهمية هذه الدراسة في الوقوف على طبيعة الممارسات اليومية للأفراد وتصوراتهم ومواقفهم إزاء ثقافة التباعد الجسدي والعزلة الاجتماعية. والتغيرات التي طرأت على سلوكّاتهم وقيمهم أثناء الجائحة .

ولتحقيق أغراض هذا البحث اعتمدنا المنهج الوصفي والتدوين اليومي للأحداث قصد بناء تصوّر معرفي شامل عن هذه المرحلة من خلال تمحيصنا للواقع الاجتماعي والاقتصادي في ظل هذه الأزمة. ومن بين النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة تتمثل في التغير العميق في الممارسات اليومية للأفراد وبروز في صفوفهم السلوك الأناني واللامبالاة وعدم تحملهم المسؤولية الفردية والجماعية في هذه المرحلة نتيجة ضعف ثقافة الحس المشترك بينهم. وأنّ تطويق أزمات الجوائح وكسب معركتها يرتبط بمدى تضافر جهود جميع طاقات المجتمع التونسي. وأنّ معالجة الأزمات الوبائيّة لا تتم بتحفيز العمل في المختبرات الطبيّة فقط، بل أهمية دراستها في مختبرات العلوم المتنوّعة.

الكلمات المفتاحية:

الأيكولوجية، الجائحة، الأزمة، السلوك، التباعد الجسدي، العزلة الاجتماعية، التضامن.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

مقدمة:

مما لا شك فيه أنّ فيروس كورونا المستجد، ترك آثارا كونية من خلال خوضه حربا بيولوجية غير مرئية على الفرد ووضع نهاية لحياته، وأصبح العالم بالنسبة إليه عبارة عن قرية صغيرة، وقد خلخل في الوقت نفسه وهم سيطرة الفرد على النظام البيئي الذي بدأ في التدهور التدريجي، مخلفا آثارا مأسوية على البشرية.

ولما سبق سنتطرق في هذه المقالة إلى أزمة «كوفيد-**Covid19**» وتحدياتها الاستثنائية في ظل عجز المجتمع الدولي عن تطويقها في مراحلها الأولى ولجوئه إلى الحجر الصحي الجزئي، ثم الشامل، إضافة إلى فرضه التباعد الجسدي، والحجر المنزلي، وضرورة ارتداء الكمامات في الفضاءات العامة، لكنّ تراخيا كبيرا لدى الأفراد قابل هذه الإجراءات، وقد تمثل في عدم تطبيق البرتوكولات الوقائية، نتيجة عدم وعيهم بخطورة هذه الجائحة على صحتهم ووجودهم في الحياة. ففي تونس مثلا رغم تسارع وتيرة الإصابات المحلية بعدما انتقلت من العدوى الوافدة إلى العدوى المحلية ثم إلى مرحلة الانتشار المجتمعي لفيروس كورونا، وبقدر ما تمكنت السلطة من التحكم فيه خلال الموجة الأولى، فإنّها لم تستطع السيطرة عليه خلال الموجة الثانية وماتلاها من موجات أخرى التي ارتفعت فيها حالات الإصابات والوفيات، نتيجة عدم وعي فئات واسعة من السّكان بعواقب هذه الجائحة.

وبناء على هذه المقدمة المختصرة فإنّ الأمر تطلّب منّا انجاز هذه الدراسة السوسيولوجية حول سلوكّات الأفراد والسلطة زمن جائحة كورونا، لتحليل الممارسات اليومية للفاعلين الاجتماعيين في هذه المرحلة من جهة، والتحقق من مدى صحة تأثيرات كورونا على نسق حياة سكاّن تونس من جهة أخرى. واستخلاص جملة من التوصيات والمقترحات، يمكن البناء عليها في المستقبل في ظل ديناميكية المجتمع التونسي، وقد قسمنا محاور هذه الدراسة إلى العناصر التالية:

- سوسيولوجية الأوبئة في ظل الأزمة البيئية.
- فيروس كورونا وصدمة المجتمع العالمي.
- الفرد ومسألة التباعد الاجتماعي.
- السلطة وتطويق الجائحة في ضوء مجتمع غير مستقر.
- التبدّل المرحلي في الممارسة اليومية للأفراد زمن انتشار كورونا في البلاد.
- تداعيات أزمة كورونا على البلاد.

يبدو لي في هذا السياق، أنّه من المفيد قبل الحديث عن مضمون محاور هذه الدراسة ضرورة ضبط أهدافها وأهميتها وتساؤلاتها ومنهجيتها كما يلي:

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

أ-أهداف الدراسة:

- محاولة فهم الواقع الاجتماعي والاقتصادي، انطلاقا من الممارسات اليومية لسكّان تونس في ظل أزمة «كوفيد-**19**».

- ابراز خطورة هذه الجائحة وتداعيتها الصحية والاجتماعية والاقتصادية على البلاد (انكماش اقتصادي ازدياد في عدد العاطلين عن العمل ارتفاع نسبة الفقر...الخ).

-الكشف عن الجانب الخفي لنسق التفاعلات بين الأفراد والسلطة من جهة ومدى وعيهم بخطورة فيروس كورونا وكيفية تصرفهم معه من جهة أخرى.

- تحليل انعكاسات ضعف العلاقات الاجتماعية بين الفاعلين الاجتماعيين على قيم التضامن والتعاون الجماعي في فترات الأزمات الطبيعية والبشرية.

- ترصد تحوّلات المجتمع وتقلباته زمن جائحة كورنا قصد بناء تصوّر معرفي شامل عن هذه المرحلة التي مرّ بها سكّا ن تونس.

بـ-أهمية الدراسة:

- تكمن أهميتها في التشخيص الدقيق للتفاعلات اليومية للأفراد مع بعضهم البعض أثناء الجائحة من جهة، ومدى تعاونهم مع الحكومة في مواجهته من جهة أخرى.

- إبراز الأسباب العميقة التي أدت إلى تبدلات غريبة أحيانا في سلوكيات الأفراد تجاه أنفسهم وتجاه الدولة والبدائل الممكنة في ضوء تعدد الأسباب التي أدت بشكل أو بآخر في تغير ممارسات السكّان خلال أطوار أزمة كورونا.

- تفعيل العلاقة الترابطية والاستراتيجية بين الأفراد ومؤسسات الدولة وهياكل المجتمع المدني في الوقوف والتصدي لمختلف الكوارث الطبيعية التي من شأنها أن تحدث تهديدات جسيمة في المجتمع التونسي.

تـ- المنهجية المعتمدة في الدراسة :

حاولنا في هذا الإطار تجميع البيانات والمعلومات حول أزمة كورونا منذ بروزها في أوائل شهر ديسمبر **2019** في مدينة "ووهان **Wuhan**" الصينية إلى الشهر الثامن من سنة **2022** وكذلك الاستفادة من الأعمال الميدانية المنجزة حول هذا الوباء، إضافة إلى ارتكازنا في هذا المجال على تقنية الملاحظة والمقابلة في دراسة وضعية سكان البلاد زمن كورونا. والاستقصاءات الميدانية وتحليل التدوينات الحرة (المضامين) على شبكات التواصل الاجتماعي وعدد من البيانات والمواد الإعلامية، إضافة إلى الارتكاز في دراسة هذه المسألة على استجواب مجموعة من الطلاب من منحدر بيئي مختلف (قبلي، قفصة سيدي بوزيد، المهدية، صفاقس، توزر، قابس، المنستير، مدنين، تطاوين، نابل، القصرين).

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

ثـــ– مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

أصبحت الأزمة الصحية في تونس واقعا يختلف عما سبقه إذ انتجت أزمة كورونا وضعا اجتماعيا جديدا، تضمن ارساء تباعد اجتماعي في العلاقات اليومية للأفراد، وبدأت سلوكيات جديدة تظهر في المجتمع التونسي نتيجة التحول القسري في نمط التفاعل الاجتماعي والتضامن بين الأفراد. كما أفرز فيروس كورونا تأثيرا عميقا في البنى الاقتصادية من حيث التوقف شبه الكلي في منظومة الانتاج. إذ أنّ هذا الوباء دفع بالبلاد إلى تطبيق جميع تدابير الصحة العامة التي ينفذها السّكان للحد من الاتصال الجسدي المباشر وغير المباشر بين الأفراد (إجبارية التباعد الجسدي) قصد وقف انتشار فيروس كورونا. وفي هذا السياق طرحنا بعض الأسئلة؟ فماهي آثار هذا الوباء على الممارسات اليومية لسكان تونس؟ وكيف كانت تصوراتهم ومواقفهم إزاء ثقافة التباعد الجسدي والعزلة الاجتماعية؟ وما هي أسباب رفضهم تطبيق البرتوكولات الوقائية والتقيد بها؟ وما هي تداعيات هذه الأزمة على البلاد؟

I-سوسيولوجية الأوبئة في ظل الأزمة البيئية :

كان الإنسان في الماضي يعيش وسط بيئة اتسمت بالنظافة والجمال، لكن فيما بعد لم يترك فضاء إلاّ وعمد إلى تخريبه وتلويثه، ممّا جعل مجتمعات العالم قلقة من عديد المخاطر التي يمكن أن تنفجر في أيّة لحظة كانتشار أسلحة الدمار الشامل، وارتفاع عدد السكان في العالم من مليار و**600** مليون نسمة سنة **1900** إلى **7** مليار و**880** نسمة، أمام تراجع تدريجي في خيرات الأرض[1].

وفي هذا الخصوص يقول "فيليب سان مارك Philippe **Saint-Marc** »، «إنّ الإنسان أصبح يقوم بتسميم الكرة الأرضية كلّها، دون ترك أي ملجأ أو ملاذ يصون الصحة والإبقاء على الحياة»[2]. ورغم تقدمه فإنّه لم يستطع معايشة التغير السريع والمستمر الذي يحدثه في بيئته وبذلك أصبح تدهور الحياة في الظرفية الراهنة شبيه بعملية حرق للزمن.

وتعد مسألة الاهتمام بالعلاقة بين الإنسان والطبيعة في الغرب حديثة الجذور نسبيا، فإلى حدود الستينات من القرن الماضي (ق**20**) لم تكن الطبيعة بالنسبة إلى أغلب المفكرين والسياسيين الغربيين إلا «موردا اقتصاديا» وعلى الإنسان أن يستخدمه بكفاءة وقد تغيرت النظرة فيما بعد بسبب ازدياد الإدراك بأنّ إساءة استغلال الطبيعة يهدد بقاء الجنس البشري. وترجم هذا في كتاب "مجتمع المخاطر"لعالم الاجتماع الألماني "أولريش بيك **Ulrich Beck** "عام **1986** الذي عالج فيه آثار الحداثة على الانسان والبيئة وألحقه بآخر حول "مجتمع المخاطر العالمي ليرصد فيه آثار العولمة في نشر مخاطر الحداثة في البيئة والاقتصاد والأمن والانسان وأسماها المخاطر الطيارة، العابرة للحدود والتي يمكن أن تحيق بالعالم أجمع[3].

[1] السكان، الأمم المتحدة -**The United Nations**

[2]فليب سان مارك، ولد"فليب سان مارك" يوم 20 سبتمبر من عام 1927 في باريس، حصل على الدكتوراه في القانون وديبلوم الدراسات السياسية من معهد العلوم السياسية وسنحت له الفرصة لتوجيه اهتمامه إلى مشاكل البيئة، حين كلّف بعمل هام استغرق أربع سنوات من 1977 حتى 1970.

[3]أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي، بحثا عن الأمان المفقود، القاهرة –المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى 2013، ص 7.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وبما أنّنا سنتحدث في هذا الخصوص عن جائحة كورونا أود بداية تعريف ما المقصود بالكارثة فهي اضطرابات خطيرة في الحياة العادية يمكن أن تكون مفاجئة وغير متوقعة وواسعة التأثير على الحياة الإنسانية مثل فقدان الأرواح والمعاناة والتأثير السلبي على الصحة[4]. وتحصل الكارثة نتيجة حدث طبيعي أو حدث مفاجئ من صنع الفرد، أو حدث متوقع يؤثر بشكل كبير على نسق الحياة الطبيعية، مما يستدعي من البلدان اتخاذ إجراءات استثنائية لمجابهته بقدراتها الذاتية أو بمساعدة خارجية.

ونشير في هذا السياق باختصار إلى أنواع الكوارث، فهي تنقسم إلى قسمين: الكوارث الطبيعية، هي الكوارث التي لا يكون الفرد هو المتسبّب في حدوثها مثل: الزلازل، البراكين، الفيضانات، العواصف، الأمطار الغزيرة، الانزلاقات الأرضية، الجفاف، التصحر، زحف الرمال ...الخ. أما الكوارث التي هي من صنع الإنسان: يكون الفرد هو المساهم في حدوثها مثل انهيار المباني، الشغب، الحرائق، الحوادث الكيماوية، حوادث الطرق الكبرى الإرهاب، الحروب، تلوث البيئة، الأوبئة...الخ[5]. وما استنتجناه في هذا الخصوص ضعف الإنسان وهشاشته، فقد أثبت وباء كورونا ضعف الإنسان وهشاشته أمام نفسه والطبيعة، على الرغم من استمراره بالعبث فيها حتى هذه اللحظة، فهل ما يحدث هو "غضب" الطبيعة على الإنسان؟ أم نتيجة ازدياد تلوث البيئة شيئا فشيئا؟

يبن لنا المخزون السوسيولوجي القديم والحديث أنّ عديد الدراسات والنظريات العلمية التي تفسر علاقة المجتمع بالمرض، التي ظهرت في أعمال علماء الاجتماع الأوائل، والمعاصرين الذين أعطوا جل اهتمامهم في تفسير هذه الجوانب، التي بحثت في علاقة المرض وانتشار الأوبئة، بسوسيولوجية الأفراد والجماعات والروابط الاجتماعية والتضامن الاجتماعي والخوف المجتمعي، والتأثير على بنية المجتمعات وسيرورتها. لا سيما تلك الآثار التي تشمل عامة المجتمعات الناتجة عن حالات تفشي الأوبئة والأمراض الخطرة. وفي هذا الصدد يشير ابن خلدون في مقدمته إلى أنّ كثرة الترف والمترفين يؤدي إلى الاستغلال المفرط للموارد وتغيير الطبيعة الأصلية للعمران، وهو الأمر الذي سوف يؤدي إلى الشر والخروج عن دائرة الخير ووقوع الطغيان كطغيان الماء الذي لا يقاومه أي سد أو ترميم [6].أما إميل دوركا يم عندما ناقش موضوع الانتحار والتضامن الاجتماعي في المجتمع الذي يواجه التحديات والأزمات والكوارث المختلفة[7].

وكان على هذا الأساس خطاب علماء الاجتماع المعاصرين أمثال "أولريش بيك" ، الذي أخبرنا ونبهنا إلى المخاطر التي سوف تواجهها البشرية في عالمنا المعاصر، في كتابه الشهير " مجتمع المخاطرة " إذ يرى أنّ الالفية الثالثة سوف تحمل لنا كثيرا من المخاطر الناتجة عن تلك الممارسات التي تقوم بها بعض الدول الصناعية الكبرى مثل إشعاع المفاعلات النووية، والتلوث، والفيروسات التي تفتك بحياة البشرية... وأنّ تهديدات الحياة في الحضارة الصناعية قد صارت عرضه لتحولات الخطر الاجتماعي اليوم، ويضيف أنّ الخطر القادم سوف يتسم بنفس سمات القوة المدمرة للحرب، فيصيب الأغنياء والفقراء، ويعم جميع الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، ومن

[4] مراجعة القوانين والتشريعات النافذة ذات العلاقة بالكوارث وإدارتها ضمن منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة، مشروع دعم بناء القدرات الوطنية للتقليل من اثر الخطر الزلزالي لمنطقة العقبة الاقتصادية الخاصة – الأردن2009. ص12.

[5]

ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، الجزء الثاني كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الطبعة الأولى، الدار [6] التونسية للنشر1994.

[7] **Durkheim Emile, 1977 , Les règles de la méthode sociologique PUF**

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

ثم يصعب السيطرة على تلك المخاطر. وقد عبر من جانبه أنتوني غدنز عن المخاطر التي يواجها عالمنا اليوم بما اسماه "العالم المنفلت" الذي تحدق به كثير من المخاطر.

فأصبح علم الاجتماع ملازما للتعليم الطبي وأصبح شريكه (Partner)الذي لا غنى عنه للطب[8]. وبذلك أصبت للمشكلات الطبية أهمية كبرى عند علماء الاجتماع وغدت موضع اهتمامهم. ووجد أيضا المتخصصون في الطب في علم الاجتماع كشريك هام يساعد على تقدم الإنجازات العلمية في مجال البحث الطبي[9].

فعلم الاجتماع الطبي هو العلم الذي يهتم بدراسة العوامل الاجتماعية والتنظيمات والعلاقات والقيم والأنماط المختلفة للسلوك الإنساني في المجال الطبي، فهو يتسم إذن ببحث وتحليل البيئة من منظور سوسيولوجي[10]. ويكمن دور علم الاجتماع في المجال الطبي في التعاون المباشر مع الأطباء وكل من يعمل في هذا المجال الصحي لدراسة العوامل الاجتماعية التي لها علاقة وثيقة بالاضطرابات الصحية (Health disorder). وجهد علماء الاجتماع في الإطار الطبي يكون موجها مباشرة للعناية بالطبيب أو لحل المشكلات الصحية العامة للأفراد والجماعات، كما يتسم عملهم كذلك بتحليل أسباب المرض (Etiology of disease)، ودراسة الاختلافات في الاتجاهات الاجتماعية وعلاقتها بصحة الأفراد، وعلاقة الاضطرابات الصحية ببعض المتغيرات مثل العمر والجنس والمكانة الاجتماعية والاقتصادية والتعليم والوظيفة والطرق التي يمكن بها معالجة المشكلات الصحية.

وهذا يعني أن علم الاجتماع الطبي يمثل حلقة الوصل بين العلمين (الاجتماع والطب) فهو يدرس القضايا الخاصة بالصحة والمرض في ضوء علاقتهما بالنظم الاجتماعية في المجتمع، فيمثل دراسة سوسولوجية لهذه القضايا[11]. وقد حاول في هذا السياق "هيبو كراتسHippocrates" التركيز على البيئة الاجتماعية باعتبارها عاملا هاما في فهم المرض وفي علاج المريض كما طالب بضرورة النظر إلى المريض ككل في أثناء فترات العلاج لأنّه لا يمكن فصل ظروفه الصحية عن ظروفه الاجتماعية أثناء التشخيص والعلاج[12].

إنّ جائحة كرونا التي اكتسحت العالم باسره في وقت واحد، وأصبحت مثار اهتمام عالمي شغل الكل في هذه المعمورة، ونحن إذ نتابع ونشاهد ونتفاعل مع هذا الحدث من خلال ما ينشر وتتداوله جميع وسائل الاعلام وشبكات التواصل الاجتماعي، فهو لم يقتصر عن موضوع المرض من المنظور الطبي الاكلينيكي فحسب، بل إن أغلب ما يثار وينشر حوله يتعلق بالسوسيولوجيا أكثر بكثير من المنظور العلاجي الطبي، ربّما يعود ذلك إلى طبيعة هذا الفيروس الجديد الذي لم تتمكن العلوم الطبية من اكتشاف علاجه منذ ظهوره في مراحه الأولى ، الأمر الذي تركز فيه جهد الأفراد والمؤسسات والدول حول عملية الوقاية منه ولعل أهمها تلك الوقاية المتمثلة بالحجر والعزلة، وهي شأنا اجتماعيا خالصا، حيث كان هذا الحدث قد خلق حالة هستيريا جماعية شملت كل المجتمعات الإنسانية، رافقتها عدد من الشائعات والتأويلات والتكهنات وصلت إلى حد عودة العقل إلى مرحلة الخرافة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نلاحظ ان

[8] عمر نادية و"غيره"، علم اجتماع الطبي المفهوم المجالات مصر1997،ص.52.

[9] **Bloom Samuel W, The doctor and his Patients, A Sociological interpretation, the free Press, New York, 1956, p15.**

[10] مصطفى التير، مجلة الوحدة العدد50،نوفمبر1988،ص72.

[11] على المكاوي ، الجوانب الاجتماعية والثقافية للخدمة الصحية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية1988، ص2.

[12] نفس المرجع السابق، ص3.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

سكان المعمورة جميعا قد خضعوا لأخذ إجازة إجبارية والمكوث في منازلهم، ولأول مرة يحدث مثل هذا في تاريخ البشرية، ربّما أنّ هذا الوضع قد عاد بنا إلى زمن ما قبل الصناعة والمدنية زمن المجتمعات الأولية السابقة لظهور الصناعة ووسائل المواصلات، وما خلفته الحياة الحضرية المدنية من وجود فضاءات عامة كالمسارح والأندية والملاعب الرياضة والسينما والحدائق العامة والمولات والجامعات والتجمهر والتجمعات البشرية والأسواق العامة التي نعرفها جميعا، كملاذ للناس يترددون عليها ولم يبارحونها إلى ما قبل عشرة أيام تقريبا، بعد إعلان انتشار هذا الفيروس في الصين الذي صنف بأنّه من أخطر الفيروسات التي تهدد حياه البشرية .

إنّ الحجر والمكوث في المنازل قد غير كثيرا في نمط السلوك والتفكير عند الأفراد، فخلال فترة زمن كورونا، انكب اهتمام الكثير في متابعة وتبادل الأخبار التي تحمل النصائح الوقائية المتعددة. وكذلك النكات والشعر والمقاطع الفنية والرسوم المتحركة والصور الكاريكاتيرية التي تعج بها وسائل التواصل الاجتماعي وتتحدث عن الجائحة، وتصور حياة النّاس في زمن الكرونا، فالنكات عادة ما يلجأ لها الأفراد بوصفها تعبيرا ساخرا لاسيما في زمن الأزمات للترفيه عن النفس وتقلل من الفزع والخوف الذي أحدثته كرونا، في حبس الناس في منازلهم. وبذلك فإنّ حدث الكورونا سيظل زمن فاصل عن ما قبله وسوف تحمل الذاكرة الجمعية أشياء كثيرة عن هذا الفيروس الذي لا يراء بالعين العادية المجردة، وكيف أنّه غير من حياة البشرية[13].

II- فيروس كورونا وصدمة المجتمع العالمي :

من الثابت أنّ فيروس كورونا كان أوّل ظهور له في الصين في أوائل شهر ديسمبر عام 2019 في مدينة ووهان (Wuhan) الصينية [14] التي تسرّب منها الوباء بعد ذلك إلى مختلف مجتمعات العالم واعتبرت أزمة فيروس كورونا COVID-19 أكبر أزمة عالمية في هذا الزمن(ق21) من خلال عمقها وحجمها الكبير، إذ أصبحت هذه الأزمة تهدد صحة أكثر من 7 مليار 880 مليون نسمة على المستوى العالمي. إضافة إلى تداعيتها الاقتصادية على البلدان النامية التي وضعها وباء كورونا أمام تحديات صحية واقتصادية (انكماش اقتصادي ازدياد كبير في عدد العاطلين عن العمل...الخ) في ظل صغرى أزمات الطبيعة.

[13] فضل الربيعي ، سوسيولوجيةكورونا ، https://almashhadalaraby.com/news/

[14] جائحة فيروس كورونا – ويكيبيديا: (ووهان (Wuhan) هي عاصمة مقاطعة هوبي وتعد أكبر مدينة فيها والأكثر اكتظاظا بالسكان في وسط الصين، ويبلغ عدد سكانها أكثر من 11 مليون نسمة ، وتعتبرسابع أكثر المدن الصينية اكتظاظا بالسكان ، وواحدة من تسع مدن رئيسية في الصين . وهي مركز صناعي واقتصادي رئيسي بالنسبة لوسط الصين. قدر عدد سكانها بحوالي 11 مليون نسمة في عام 2019 وهي عاصمة مقاطعة هوباي وأكبر مدن الصين الوسطى من حيث عدد السكان. تحتوي على عديد المصانع في إنتاج الحديد والفولاذ، كما توجد بها جامعة ووهان وجامعة ووهان للتكنولوجيا . وتعتبر هذه المدينة المركز السياسي والاقتصادي والمالي والتجاري والثقافي والتعليمي لوسط الصين . إنّها مركز نقل رئيسي، حيث تمر عشرات السكك الحديد والطرق والطرق السريعة عبر المدينة وتتصل بالمدن الكبرى الأخرى بسبب دورها الرئيسي في النقل الداخلي، يشار إلى ووهان أحيانًا باسم " شيكاغو الصينية" من قبل مصادر أجنبية).

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

مدينة ووهان (Wuhan)الصينية عام 2019

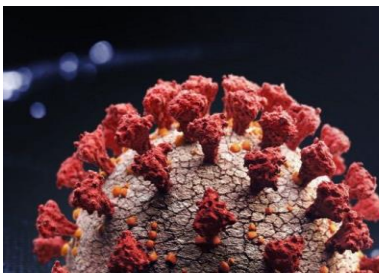

خطورة فيروس كورونا على سكان العالم

وضعية سكان العالم زمن كوفيد-19

ونفهم من ذلك ضعف الإنسان وعجزه أمام الطبيعة في مواجهة هذه الجائحة التي كان لها انعكاسات خطيرة على حياة سكان العالم وممارساتهم اليومية منذ ظهورها.

وفي ظل هذا الفيروس المستجد وغير المرئي سارعت عديد البلدان إلى غلق حدودها البرية والجوية والبحرية خوفا من التداعيات الكارثية لهذه الجائحة. فسرعة انتشارها فرضت على العالم نظام التباعد الاجتماعي الذي اعتبر الحل الوحيد للحدّ من انتشارها في انتظار توفر اللقاح وتوزيعه على سكان العالم في ضوء عجز الدول الكبرى في تطويقه في مراحله الأولى رغم تقدمها التقاني واعتبر هذا الوباء من قبل البعض بالعدو الخفي أوالعدو اللامرئي الذي تمكن من الانتصار على المجتمع العالمي بما في ذلك أقوى دول العالم كالصين وإسبانيا وإيطاليا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ...إلخ فأغلب أفراد هذه الدول خضعوا إلى الحجر الصحي. وقد تمكن هذا الفيروس منذ ظهوره في أوائل شهر ديسمبر 2019 إلى نهاية شهر أوت 2022 من إصابة أكثر 607.503.134 إصابات مؤكدة ومن وموت أكثر من 6.492.964 فردا من سكان هذا العالم[15]. وبذلك أصبح كوفيد -19عبارة عن حصاد بيولوجي للبشرية من خلال سرعة انتقاله من فرد إلى آخر وشدة انتشاره في المجتمع الواحد.

إصابة 1 نسمة من أفرد المجتمع بهذا الفيروس يساهم في انتقال العدوى إلى 1000 نسمة من السكان[16].

وهو ما يفسر دخول العالم بأسره في حرب كونية مع عدو غير إنساني. ولم تكن تونس في مأمن من هذا الوباء الكوني فهي مرت هي الأخرى بفترات عسيرة (الكلفة البشرية والمادية)، ونشير في هذا الخصوص أنّه لا ينتقل الفيروس التاجي، أو أي فيروس آخر، من خلال التواصل مع الآخرين، بل ينتقل نتيجة اقتراب الأفراد جسديا من مصدرٍ للعدوى. لذلك يجب على الأفراد أن يمارسوا " الاختلاط المتباعد"، أو "التواصل المتباعد" أو "التباعد الجسدي" بدلا من "التباعد الاجتماعي". وأحدث فيروس كورونا أثارا مدمرة للإنسانية فارضا تدابير "التباعد الاجتماعي" فضرب البناء الاجتماعي في الصميم وهو يصارع للخلاص من الداء مستعينا بعالم الأفكار وما فيه من تصورات ورؤى ومعتقدات[17]. في ضوء شعوره بالعجز أمام عدو جديد غير مرئي فأغلقت عديد البلدان حدودها البرية والبحرية والجوية وسعت إلى معالجة أزماتها دون اللجوء إلى تعاون عابر للحدود كما جرت العادة في حالات طوارئ ذات تداعيات كارثية. ونشير

[15] إحصائيات كورونا في العالم ليوم 31/08/2022 Elaph ...https://elaph.com coronavirus-statis

[16] وزارة الصحة التونسية.

[17] أسماء حسين ملكاوي و(غيرها)، كورونا وعلم الاجتماع: أسئلة جديدة، أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية-جامعة قطر2021.ص9.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

في هذا المجال إلى أنّ البشرية عرفت عبر تاريخ وجودها-عديد الكوارث والمخاطر الناتجة عن الحروب، أو عن طريق انتشار الأمراض والأوبئة التي أودّت بحياة الملايين، ولكن ما يميزها، عن أخطار فيروس "كورونا"، أنّها لم تستهدف البشرية كافة، كما يحدث الآن من قبل كورونا، فقد تبيّن أنّه لا يعرف الحدود الجغرافية، على المستوى العالمي أو على مستوى الدولة الواحدة. وقد أظهرت المرحلة الأولى، من انتشار فيروس كورونا، أنّ أغلب بلدان العالم كانت غير مهيّأة لمواجهة هذه "الحرب الصحيّة " فمنذ ظهوره توحدت مخاوف البشرية، واستعدت لمواجهة تحدي الفناء الذي يفرضه عليها "كوفيد-19" الذي اجتاح تقريبا مختلف بلدان العالم.

ممّا جعل البشرية تتوحد لتتحدى هذا الواقع الذي يفرضه عليها انفجار الوباء الجديد وبدأت البشرية في هذا الظرف وكأنّها في مفترق طرق، يسكنها خوف عميق، إذ أنّ كائنا فضائيا غريبا اجتاح الأرض ليدمرها، ويترك سكانها في خوف وقلق وترقب. فسكان الكوكب استقبلوا هذا الوباء على غير موعد، إذ لم يكن يتوقعه أحد، ولم يتنبأ به أحد، ولذلك يمكن تشبيهه بالحوادث الكبرى التي تحدث في العالم، وتغير مساره، وتدخله في زمن جديد وفي أفق مغاير للحياة التي عهدناها، وسوف تتضح معالم ذلك كله في المستقبل القريب.

- **انتشار فيروس كورونا في بعض بلدان العالم: 2019-2023**

(انظر احصائيات كورونا سنه 2023).

البلد	الإصابات	الوفيات	السكان
العالم	701,603,634	6,967,340	7.880.000.000
الصين	503,302	5,272	1.439.323.776
الو.م.أ	110,474,975	1, 191,840	332.770.250
إيطاليا	26,671,165	195,139	60.380.707
إسبانيا	13,914,811	121,760	46.771.294
ألمانيا	38,790,256	180,956	84.028.088
فرنسا	40,138,560	167,642	65.405.173
السعودية	841,469	9,645	35.621.922
الكويت	666,586	2,570	4.328.106
الإمارات	1,067,030	2,349	9.999.027
عمان	399,449	4,628	5.224.529
قطر	514,524	690	2.807.805

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

موريتانيا	63,777	997	4.760.242
المغرب	1,278,269	16,300	37.308.278
الجزائر	272,010	6,881	44.569.474
تونس	1,153,361	29,423	11.931.427
ليبيا	507,274	6,437	6.956.443

ما يستخلص من هذه المؤشرات الإحصائية أنّ جائحة الكورونا رغم اعتبارها صغرى أزمات الطبيعة ومأساة الإنسانية إلا أنّها تمكنت من احداث إصابات مرتفعة ووفيات كبيرة في صفوف سكان العالم يكبر كل يوم، وعدد إصابات تتسارع أرقامه، كل ساعة، بل كل دقيقة، وجميعها في ازدياد مفتوح، لذلك إذا ما استمر الوباء فترة طويلة، فسوف نشهد اجتماعا بشريا على نمط مختلف أشبه بالاجتماع البشري فيما بعد الحروب الكبرى. وبما أنّ العالم يمرّ بلحظة عصيبة ومنعطف حاسم، يقتضي التعلّم من التجربة القاسية، عبر إعادة النظر في مجموعة من السياسات والأولويات، بما يكفل إرساء ركائز لمجتمع دولي متعاون، ومتضامن، ولتحقيق تنمية مستدامة تقوم على تقاسم المعرفة والتكنولوجيا، دون استغلال منحرف لحقوق الملكية الفكرية للدواء أو احتكارها ضدا على أرواح البشرية، وتستحضر(التنمية) الإنسان كوسيلة وهدف لمواجهة عديد التهديدات والمخاطر التي لم تعد تستثني مجتمعا دون آخر.

III- الفرد ومسألة التباعد الاجتماعي :

نظر الخطورة هذا الوباء المستجد، يحجر الأفراد أنفسهم في البيوت طوعا، باتباع تعليمات بلدانهم وإرشاداتها، عبر وسائل الإعلام المختلفة باعتبار أنّ المنازل هي الفضاءات الأكثر أمانا لحمايتهم من وصول فيروس كورونا إليهم، وبمعنى آخر يقبلون الناس بالاعتقال الذاتي بالإضافة إلى خوف الفرد من الفرد الآخر، بغض النظر عن مشاعره، فمسافة الأمان المطلوبة بين الفرد والآخر، إذا ما تواجدوا في مكان واحد(المستشفيات، الصيدليات، مراكز التسوق...الخ) هي متر ونصف المتر بالحدود الدنيا وعدم المصافحة باليد أو العناق، ومنع مختلف التجمعات (المدارس، الجامعات، أماكن العمل، والمراكز البحثية والثقافية، أماكن الرياضة ، الأفراح ،الأحزان.. إلخ)، إضافة إلى اتخاذ عديد الدول إجراءات عقابية، في حال المخالفة، بدءا بالعقوبات المالية والاعتقال والسجن.

واتسم سلوك الأفراد خلال الموجهة الأولى من أزمة كورونا بنوع من الخوف والهلع والمبالغة في شراء السلع الاستهلاكية بكميات كبيرة، خوفا من اختفائها من الأسواق، تبعا لانفعالاتهم ومشاعرهم، وبعيدا عن المنطق والعقل، وهذا ما سوف ينعكس على اتجاهاتهم القيمية والثقافية في المستقبل، حيث أنّها ستشهد تغيرات جذرية في نمط حياتهم اليومية، وتتبدل ملامح حياتهم، من خلال خلق معان وقيم وأفكار وأنماط مختلفة للحياة الإنسانية عن ما كان سائد قبل كورونا.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وفي هذا الخصوص لقد اختلفت طرق التعامل مع هذا المرض الكارثي، بين سكان العالم، على مستوى الوعي والسلوك، ففي المجتمعات المتقدمة، وخاصة الأوروبية، حيث لوحظ الوعي والسلوك المنضبط والمنظم والصارم بالالتزام بالإرشادات والنصائح المقدمة من قبل المختصين في الصحة والأمراض، بينما تبين وجود ردة فعل غير واعية اجتاحت بعض المجتمعات، على سبيل المثال، ظهرت في الهند، سلوكيات مرتبطة بالمعتقدات الشعبية، مثل شرب "بول البقر"، باعتباره وصفة شعبية ترتبط بمعتقدات دينية تشير إلى أنّه يقي من فيروس كورونا ، لأنّ كثيرا من الهندوس يرون الأبقار مقدسة، ويؤمن بعضهم بأنّ لبولها خصائص علاجية.

إضافة إلى ذلك، انتشرت موجة من الشائعات، أطلقها البعض وانجرف خلفها الملايين، من خلال وسائل التواصل الاجتماعي وخاصة (الفيسبوك)، وتجلى لنا أنّ بعض الأفراد على استعداد لتلقي أي شائعة لتفسير ما يحدث حوله.ونستنتج في هذا السياق وجود ممارسة مزدوجة للسلوك الإنساني، حيث يغلف هذا السلوك المرضي بشيء من العقلانية، تخفي اتجاهات وتحيزات غير عقلانية، في ظل أزمة فيروس كورونا، حيث يستعيد الفرد نمطا أشبه بالحياة البدائية غير المتحضرة التي تحركها المشاعر والاحتياجات البدائية حتى تهيمن كليا على الفرد. إذ أصبح الفرد يواجه عبئا أثقل من أعباء الأمراض السابقة حتى القاتلة (الإيدز، السرطان)، مرتبطا بحالة من المجهول، لأنّ الإصابة بفيروس كورونا لا ترتبط بالمصابين فقط، بل تشمل أفراد المجتمع كافة، وعلى درجات مختلفة إلى حد ما، فهي مرتبطة بسرعة انتشار المرض، وبعدم توقع زمن العلاج منه، وكلّما طالت مدة تفشي فيروس كورونا، ازاد الضغط على الفرد، حيث حداثة الفيروس ذاته لا تسمح بتوفر المعلومات الكافية، التي من شأنها بث الطمأنينة، بل إنّ المعلومات المتوفرة عنه تعزز المخاوف أكثر بين الأفراد. ويرتبط عامل ثقة الأفراد بمؤسسات بلدانهم المختصة، فكلّما كان لدى الأفراد درجة ثقة كبيرة بهياكل الدولة وخدماتها أي قدرتها على احتواء الوباء مما تحد من حدة القلق العام وتحجيمه، قبل تحوّله إلى سلوكيات غير منطقية بدافع الخوف. وهذا ما يفتقده كثير من سكان مجتمعات العالم.

وابّان المرحلة الأولى من انتشار فيروس كورونا، بروزت ثقافة التضامن الاجتماعي التقليدية، التي تجاوزتها معظم مجتمعات العالم بعد مرحلة الحداثة وما بعدها، وتحديدا بعض مظاهر التضامن الاجتماعي الآلي، الذي تحدث عنه "إميل دوركايم Emile Durkheim"، وعدّه سمةَ المراحل التنظيمية السابقة عن الرأسمالية. ويتم هذا التضامن التقليدي عن طريق العادات والتقاليد والعواطف المشتركة بينهم، تلك العناصر التي تسمى "روابط الضمير الجمعي"، وهي تعمل على إرساء طابع التكامل الاجتماعي الذي يعدّ العامل الأساس في وجود العلاقات والتكامل بين الأفراد. حيث يستند على تكريس التوازن، من خلال فكرتين أساسيتين: الأولى في الوعي الجمعي المتمثل في مجموعة من المعتقدات والمشاعر المشتركة بين أعضاء المجتمع، بغض النظر عن هذا الوعي: أهو حقيقي أم زائف، آني أم مستقبلي. أي الإيحاء بأنّ ما يجمع أعضاء هذا المجتمع أكثر مما يفرقهم، من خلال نمط واحد للمعتقدات والمشاعر التي تسود في المجتمع، والهدف من ذلك هو التصدي ومواجهة الأخطار، والفكرة الثانية هي التضامن الاجتماعي، أو التزام الفرد نحو الجماعة التي ينتمي إليها، ويراها "دوركايم" تسود كل المجتمعات، وإن اختلفت نوعية هذا التضامن باختلاف المجتمعات التقليدية والصناعية.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

هذا ما تم رصده في تصاعد الشعور الجمعي، وظهور المبادرات الاجتماعية في حالة الأزمات، أمثال فيروس كورونا، حيث تقل الفجوة بين الفرد والمجتمع، ويرتبط مصير الفرد بمصير المجتمع ككل، ويَظهر نوع من الشعور الجمعي والتضامن، بين أعضاء المجتمع الذي يعاني تهديدا واحدا في الوقت نفسه، حيث ظهرت بعض السلوكيات في البلدان التي انتشر بها فيروس كورونا، مثل الغناء أو التصفيق في وقت محدد من شرفات المنازل ليلا، للتعبير عن شكر الاطارات الطبية والصحية على جهودهم وتعرضهم لخطر الموت، بينما هم في منازلهم بأمان، وهذا ما اتسمت به بعض المدن الفرنسية وبيروت اللبنانية، والتواصل عبر النوافذ لدعم بعضهم بعضا، وتحفيز أنفسهم على مواصلة المواجهة والحفاظ على التوازن، وبثّ مشاعر الأمل والتضامن.

وفي ظل هذا الوباء أصبحنا نتحدث عن شكل من أشكال التباعد الفيزيقي، لكنّه تباعد اجتماعي أيضا، لأنّه يبعد الأفراد عن التفاعل (الطبيعي، التلقائي التدفق، التقارب المكاني...الخ). ويمكن أن تصبح هذه الممارسة جزءا من السلوكيات التي ستحدث فيما بعد الجائحة، لأنّ ميل الأفراد إلى أشكال التباعد الاجتماعي تفاديا للعدوى. وعلى أي حال يعتبر المفهوم جديدا، لكنّه سوف يظل مضادا للاجتماع البشري، لأنّ الاجتماع البشري يقوم على التقارب، فجل الفلاسفة أكّدوا منذ زمن طويل على أنّ الإنسان مدني بطبعه، وأنّه ميال إلى الاجتماع (أرسطو، ابن خلدون...لخ). فالتباعد الاجتماعي في جوهره ، هو نوع من التضامن، وقد تحدث" إميل دوركا يم" عن المجتمع على أنّه يقوم على شكل من أشكال التضامن العضوي الذي يشبه فيه المجتمع الكائن الحي الذي يتكون من أعضاء، وكل عضو فيه يؤدي وظيفته بالتكامل مع سائر الأعضاء الأخرى . فإنّ التباعد الاجتماعي الذي أوجدته الجائحة، يمكن أن يضاف إلى صور التباعد الأصلية.

ويوجد نوعان من التباعد الاجتماعي: فالأول يشير إلى التباعد بين الطبقات والفئات الاجتماعية في القيم ونمط الحياة. أما الثاني هو التباعد الاجتماعي بشكله الجديد الذي يفرضه المرض، والذي يرتبط بخلق مسافة اجتماعية فيما بين الأفراد. ولذلك يمكن تسمية المجتمع المقبل "مجتمع ما بعد الجائحة " أو "مجتمع التباعد الاجتماعي".

ولقد ترك هذا الوباء الفرد في عملية بحث دائم عن سره فقد رأيناه يفسره تارة باللجوء إلى فضاء الدين، وتارة بقوة العلم والعقل. وقدرة العقل لا تعني اليوم أن تقدِم للبشرية ما يسعدها، وإنّما ما يؤدي بها في بعض إلى تعاستها وخوفها وقلقها أيضا في ضوء ما سيحدثه هذا الوباء من تغييرات على المستوى العالمي (اجتماع بشري جديد)، مجتمع ما بعد أزمة كورونا. فاختلاف الأفراد في التأثير الذي يمكن أن يتركه هذا الوباء على البشرية فيما بعد، إذ أنّهم جميعا لا يعرفون السر، أي ما الذي حدث بالضبط، ولذلك فإنّ جائحة كورونا أدخلت مجتمعات العالم في ظرف جديد سوف يتشكل بناء عليه نمط مختلف من الاجتماع البشري، خاصة إذا استمر هذا الوباء لفترة زمنية طويلة.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

IV- السلطة وتطويق الجائحة في ظل مجتمع غير مستقر:

حسب المصادر الرسمية أنّ ظهور كورونا في تونس كان في بداية شهر مارس (02 مارس 2020)[18] ممّا دفع بالسلطة خلال الموجة الأولى إلى اتخاذ جملة من الإجراءات الوقائية بصفة استباقية للحد من انتشار «كوفيد-19» في البلاد الذي يتمظهر في خمس مراحل: ففي المرحلة الأولى تتسم بالاستقرار، أي بانعدم وجود حالة إصابة "الصفر"، أو حالات مشتبه بها.أمّا في المرحلة الثانية حيث تسجل فيها البلاد اصابات لحالات وافدة من الخارج. وفي المرحلة الثالثة، تتميز بوجود حالات أصيبت بالعدوى من الوافدين، أي تسجّل اصابات وافدة وحالات عدوى.وفيما يتعلق بالمرحلة الرابعة، تشهد اصابات مجمّعة في منطقة واحدة، أو أكثر وتصنف حينها بالفضاءات الموبوءة. وفي المرحلة الخامسة، فهي تكتسي خطورة على السكان ويكون فيها الوباء منتشرا في كامل البلاد وتصنف على أنّها بؤرة من بؤر الوباء.

ونظرا لخطورة هذا الوباء منذ ظهوره اتخذت السلطة التونسية حزمة من الإجراءات كمتابعة الحالة الوبائية بصفة مستمرة (داخليا وخارجيا) والقيام بحملات تحسيسية وتوعوية وتأجيل كل الملتقيات والمؤتمرات العلمية المبرمجة والحد من الرحلات البحرية والحجر الصحي بالنسبة إلى الوافدين على البلاد، إضافة إلى غلق الحدود البحرية والجوية بصفة كلية وإغلاق (المقاهي، الملاهي، المطاعم، فضاءات العبادة، المؤسسات التربوية والثقافي...الخ) وتنجز كل الأنشطة الرياضية دون حضور الجمهور وإجبارية ارتداء الكمامات عند الدخول إلى الإدارات.

وقد تلى هذه الإجراءات قرارات إضافية (18 مارس2020) مثل: منع كل التجمعات وغلق الأسواق والحمامات

والعمل بنظام الحصة الواحدة (5ساعات في اليوم) وإقرار حظر التجوال وفي 20 مارس2020 تم اقرار الحجر الصحي العام ومنع التنقل بين المدن وغلق المصانع الكبرى ذات الكثافة العمالية الكبيرة والأجواء بصفة كلية قصد الحد من انتشار حلقات العدوى من جهة، والتقليص من حالات الوفيات من جهة أخرى. وكانت نتيجة هذه الإجراءات المحكمة نسبيا في بداية الجائحة تسجيل 1032الإصابات المؤكدة في بداية شهر ماي2020 (5 ماي 2020) (أغلبها إصابات وافدة أي أنّ العدوى كانت من العائدين من الخارج ثم تحولت إلى عدوى أفقية شيئا فشيئا) وبلغ إجمالي الوفيات في هذه القترة 45 وفاة 6 هذه المؤشرات الإحصائية المتعلقة بالمرحلة الأولى؟ تبرز مدى تمكن المؤسسات الرسمية وغير الرسمية من التحكم في هذا الوباء المستجد ونجحت إلى حد ما في احتواء تفشّيه، إذ لم تسجّل البلاد أي إصابة جديدة لمدة5 أيّام متتالية بدءا من 11 ماي2020 7. نتيجة البعد التضامني بين أفراد المجتمع في بداية هذه الجائحة والبنية التحتية القوية نسبياً لقطاع الصحّة العامة، ووعي الأفراد واستعداد هم للتعاون والتضامن مع السلطة خلال هذه الأزمة وقدرة هياكل الدولة في إدارة هذه المرحلة إضافة إلى اسهامات المجالس البلدية في عملياتها التنسيقية مع منظّمات المجتمع المدني

[18] وزارة الصحة التونسية

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

والأحزاب السياسية، في تطبيق البروتوكولات الوقائية وبذلك تطبيق الإجراءات المتخذة من قبل الدولة. إضافة إلى استجابة الحكومة السريعة وثقة السكان بها وإدراكهم مدى مخاطر هذا الوباء.

وفي ضوء هذا الوضع المستقر نسبيا لفيروس كورونا سعت السلطة إلى فتح تدريجي لبعض المؤسسات ما بين 4 ماي و14 جوان2020 وفتح الحدود لاستقبال السيّاح ابتداء من 27 جوان 2020 واستناف نشاطها الاقتصادي الطبيعي بعد إعادة فتح لحدود (البرية، الجوية، البحرية). في وقت لا يزال فيه خطر العدوى قائما بقوة بسبب عدم التزام البعض من الأفراد بتطبيق البروتوكولات الوقائية إذ بعد فتح الحدود ما بين شهر جوان وشهر جويلية من سنة 2020 (27 جوان 2020 إلى حدود 18 أوت 2020) تم تسجيل 1225 حالة إصابة مؤكدة بفيروس الكورونا منها 449 حالة وافدة 776 حالة محلية وقد تواصل المنحى التصاعدي لانتشار الوباء عبر الزمن منذ بداية شهر أوت من سنة 2020. فبعد الاستقرار المؤقت في عدد الإصابات والوفيات في منتصف سنة 2020 أخذ مسارا تصاعديا مفاجئ في اتجاه قمّة اشتدت حدّتها في أواخرها. وفي هذه الحالة تحول هذا الوباء إلى تفشي مجموعاتي في ضوء انتشار العدوى المحلية بنسق متسارع جدا في مختلف جهات البلاد نظرا لتساهل السكان في تطبيق إجراءات "التباعد الاجتماعي".

فغياب ثقافة الوعي في صفوف أفراد المجتمع يشكل تحديا كبيرا أمام فرض الحجر الصحي الشامل ومدى الالتزام به، في ضوء الممارسات اليومية للسكان وعدم التزامهم بإجراءات السلطة المتخذة في هذا الشأن، فالجميع يتنقلون في البلاد وكأنه لا يوجد خطر يهدد صحتهم وهذا ما يثير المخاوف أكثر من مخاوف انتشار الفيروس، فالحجر الصحي الشامل أصبح لا معنى له بعد الموجة الأولى من زمن كورونا رغم أنّ السلطة حاولت حسب الإمكانيات المتوفرة من تعزيز إجراءاتها كمنع التظاهرات التجمهرات والتقليص من الكراسي والطاولات في المقاهي إلى الحدّ الأقصى وغيرها من الإجراءات التي تفرض الصرامة في التطبيق.

إذ أنّ السلطة دائما تراهن على وعي الفرد لحماية نفسه وعائلته من خطر الوباء، وتبين من خلال أعمال ميدانية أنّ (60%) من السكان لا يدركون حقيقة أنّ الوضع بات خطيرا ولا يضعون الكمامة وأمام هذه الوضعية رغم الصرامة في ضرورة تطبيق الإجراءات(البروتوكولات الوقائية) فهي تبقى الوسيلة الناجعة لتطوير نسبة الالتزام بها قصد الحد من العدوى، وبذلك تحقيق التوازن الذي يتطلب بين وعي الأفراد وحماية أنفسهم من جهة، وتعزيز القدرات الاستشفائية من جهة أخرى.

V- التبدل المرحلي في الممارسة اليومية للأفراد زمن انتشاركورونا في البلاد :

"ألن يغير الفيروس كل شيء؟ التداعيات الاقتصادية، عادات اجتماعية جديدة مع المزيد من البعد بين الأفراد، وأولويات أخرى"؟ بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على بدء جائحة كورونا، كان توق سكان العالم إلى اليوم الذي تعود فيه حياتهم إلى شكلها الطبيعي، لاسيما أنّ الوباء أحدث تغييرا جذريا في طريقة عيشهم وتفاعلهم الاجتماعي.

اتسمت مواجهة "كورونا" في المرحلة الأولى بالتضامن المجتمعي وتجلّى ذلك في مدى إدراك الأفراد أنّ الحجر المنزلي هو الحل الأمثل للوقاية من هذا الوباء والخوف من تهديد فيروس غير مرئي ربما يؤدي بالبعض منهم إلى الموت وكان كل الحديث في الأسواق والحافلات

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وأماكن العمل، لا يخلو من ذكر "الكورونا"، حديث يطغى في جزء كبير منه إلى التنبيه بخطورة هذه الجائحة. وفي هذا الخصوص تتعددت المبادرات الخيرية مثل المجموعات التي تفضح احتكار السلع من قبل بعض التجار أو تدعو إلى جمع التبرعات وتوزيعها ومجموعات أخرى تقوم بالتوعية الصحية والإرشاد الطبي...الخ. وفي المقابل بروز سلوكا أنانيا لدى كبار التجار «محتكري السلع الاستهلاكية» وكذلك لدى البعض من العامة وهذا شيء طبيعي فقد بينت لنا الأحداث التاريخية مدى التلازم الكبير بين الأوبئة والمجاعة فكلّما انتشرت الأوبئة والمجاعات عم الغلاء في الأسواق.والمشكلة التي كانت زمن كورنا ولاتزال إلى يومنا هذا، البحث اليومي عن " السميد " و"الفارينة" و"زيت السانقو" و سؤال أغلبية الأفراد عندك "سميد وفارينة وزيت سانقو"؟.

وبرز في هذه الفترة السلوك اللامبالي بالإصابة بفيروس كورونا والاستخفاف به وتجلّى لنا ذلك من خلال تواصلي المباشر والحديث مع عديد الأفراد والتجار بسوق باب الجبلي.

وفي وقت اتسعت فيه رقعة التمرد ضد جل قرارات السلطة المتعلقة بالحجر الصحي الشامل والموجة وعدم الالتزام بها.

وأصبحت كل الأمور شبه عادية مثل التجمعات الكبيرة في المناسبات الصيفية والزيارات العائلية والمكوث في فضاءات عامة مغلقة، إضافة إلى استمرار الحركات الاجتماعية الاحتجاجية في ظل أزمة البطالة وأنشطة الأحزاب السياسية (كثرة المسيرات)، و"كأنّنا أصبحنا نعيش في زمن "نفسي نفسي" يقول الشاعر جبران خليل جبران "شيئان يغيران نظرتك إلى الحياة المرض والغربة".

تغيرت "الحياة اليومية العادية" إلى "حياة يومية غير عادية". إذ أنّ الوباء أحدث تغييرا جذريا في طريقة عيش النّاس وتفاعلهم الاجتماعي، ففي ضوء أزمة «كوفيد-19» : تغيرت جوانب كثيرة في ممارسات أفراد المجتمع إذ أنّ الأوبئة كالحروب، تغيّر العادات اليومية للأفراد، (تمحو عادات وتخلق أخرى). ويصاب في هذه المرحلة عديد الأفراد بالشك في كل شيء، يشك الفرد في ذاته وقدرتها على النجاة، يشك في المقربين خوفا من أن يكونوا مصدر دخول الوباء إليهم، يشك في الدولة بأكملها وفي قدرتها على مواجهة الجائحة، وبذلك فحالة الشك تصبح هي المهيمنة زمن الوباء، ولخصَّها الفيلسوف توماس هوبز، Thomas Hobbes بأنّها «حرب الكل ضد الكل»[19].

ويقول "ألان تورين Alain Touraine" إنّ العالم لم يعد كما كان «،مبرزا شعوره بالخوف نظرا للمواجهة الحاصلة بين ما هو إنساني وما هو لا إنساني. ومضيفا في هذا السياق "لدينا آلة بيولوجية، وفي الجانب الآخر، لدينا أفراد ومجموعات دون أفكار، دون قيادة ولا وجهة، دون برنامج، دون استراتيجية، ودون لغة. إنّه الصمت". "نحن محبوسون ومنعزلون ومهجورون. يجب علينا ألا نتصل ببعضنا البعض، وفوق هذا وذاك يجب أن نلزم البيت. هذه ليست حربا!" "نحن في فراغ، ونُختزل إلى لا شيء. نحن لا نتكلم، ويجب ألا نتحرك، بل أكثر من ذلك نحن لا نفهم ما يجري". و" لكنّي أحبذ إبداء وجهة نظر شخص محبوس. أنا شخصيا أجد نفسي في لامكان، بما أنّني لا أملك حق الخروج إلى الشارع .لا، لأن حياتي اتسمت بالعمل في البيت. أشعر، بطريقة ما، بأنّني محمي في ظل الشروط نفسها التي كنت أعيشها يوميا حتى في الأيام العادية . و"نحن لا نعرف كيف ولا لماذا جاءت الجائحة في هذه الظرفية. من السابق لأوانه معرفة ما يجب

[19] أسماء حسين ملكاوي و(غيرها)، كورونا وعلم الاجتماع: أسئلة جديدة، مرجع مذكور، ص9.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

القيام به اقتصاديا، أما سياسيا، فلا يطلب منا شيء آخر غير ملازمة البيوت. نحن في اللامعنى، وأعتقد أنّ الكثير من الأفراد سيصبحون مجانين بسبب غياب المعنى".

ويرى "ألان تورين " في هذا الخصوص أنّ فيروس كورونا جعلنا نعيش اللاّمعنى في بيوتنا... والشعوربالخوف من تداعيات هذه الأزمة الكونية التي خلفها انتشار فيروس كورونا، خاصة أنّه فرض على سكان الكرة الأرضية البقاء في بيوتهم، وما نعيشه اليوم هو مواجهة بين ما هو إنساني وما هو لا إنساني[20]. يقول "نيكولاس كريستاكيس Nicholas A. Christakis " لقد أصاب فيروس كورونا المستجد عشرات الملايين من الأفراد في العالم، فأودى بحياة أكثر 6أكثر مليون، و شلت إجراءات الوقاية حركة الاقتصاد وأربكت التعليم والترفيه وباقي الأنشطة التي ألفها البشر إنّ الأفراد سيميلون أكثر إلى التفاعل فيما بينهم، عندما ينتهي الوباء، وتزول قواعد التباعد المفروضة. ويوضح "نيكولاس" أمرا مهما وهو أنّ الأوبئة ليست شيئا جديدا بالنسبة للبشرية، وإنّما جديدة بالنسبة إلينا فقط، لأنّنا لم نعايشها خلال حياتنا. ويضيف أنّ الأوبئة تجعل الناس يميلون أكثر إلى التدين وإبداء التحفظ، أما عندما يتعلق الأمر بالنقود، فهم يصبحون أكثر حرصا على التوفير.وفقد ملايين الأشخاص وظائفهم من جراء حالات الإغلاق التي فرضت لكبح انتشار كورونا، ويرى الخبراء أنّ فقدان الناس لمواردهم ربما يغير طريقة إنفاقهم واستهلاكهم مستقبلا. ويرى الكاتب الأميركي أنّ هذه التصرفات لوحظت في الأوبئة التي ضربت البشرية، على مدى قرون، وهي ملحوظة أيضا خلال فترتنا الحالية، مع وباء كورونا.

ونقطة التشابه الأخرى، هي حدوث الأزمة الاقتصادية بعد الأوبئة، فهذا الأمر حصل في 2020، كما كان حصل قديما أيضا، ولم تكن منظومات الحكم، وقتئذ، تفرض أي قرارات إغلاق، وبالتالي، فإنّ البلدان لا تلام لوحدها على الانهيار الاقتصادي الذي يحصل في زمن الأوبئة، لأنّ الوضع يكون ناجما عن كارثة صحية أو طبيعية[21].

وقد انتجت أزمة كورونا واقعا سوسيولوجيا جديدا، ارتبط بتوقف مؤقت في أنماط التفاعل الاجتماعي "الاعتيادية". والهدف هو التحكم في احتمالية الاتصال بين الأفراد المصابين بالعدوى وغيرهم من غير المصابين، وذلك للحد من انتقال الأمراض والوفيات مما يساهم في الحد من المخاطر الصحية. في وقت برزت فيه أنماطا جديدة من الاتصال اتسمت بالعمق والقوة متمثلة في التواصل الافتراضي الذي كان من أبرز أدوات التفاعل اللا مباشر بين سكان العالم. ومنذ بروز كورونا، شاع مصطلح "التباعد الاجتماعي" يحمل في طياته الممارسات التي يجب توخيها من قبل الأفراد للحد من انتشار الوباء وفي الحقيقة إنّ استخدام هذا المصطلح (التباعد الاجتماعي) ليس حديث العهد على الإطلاق. فقد أوضح "ماكينا" (McKenna) كيف ساعد "التباعد الاجتماعي" مدنا على النجاة من

[20] ألان تورين: فيروس كورونا جعلنا نعيش اللاّمعنى في بيوتنا.. وستكون هناك كوارث أخرى:حاوره: مارك باسيتس، ترجمة: توفيق السليماني06/04/2020 (06 جوان 2020).

[21] To distance. (2020). Merriam-Webster. Retrieved from this link.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

جائحة الإنفلونزا الإسبانية التي ضربت في عام 1918[22]، في إشارة إلى إجراءات التحكم الاجتماعي المتخذة آنذاك من قبيل حظر التجمعات وإغلاق المدارس، مما أدّى في نهاية المطاف إلى إبطاء انتشاره. وفي هذا الخصوص يرى "روبرت إي. بارك Robert E. Park " في سنة 1924 [23]، أنّ كلمة "التباعد" تثير لدى المتلقي معانٍ تتصل "بدرجات التفهم والحميمية". وفي محاولة منه لتعريف "التباعد الاجتماعي" كتب "بارك": "كثيرًا ما نقول عن أنّ الشخص (أ) قريب جدًا من (ب)، و (ج) بعيد ومتحفّظ، لكن (د)، من ناحية أخرى، هو شخص منفتح الذهن، متعاطف، متفهم، وعموما يسهل التعاطي معه. جميع هذه التعبيرات تصف وتقيس إلى حد ما مدى "التباعد الاجتماعي". ويؤكد "بارك" في هذا الخصوص على أنّ المسافة الجسدية التي يحافظ عليها الشخص بينه وبين الآخرين، تعكس سماته الفردية أو طبيعة علاقته بالآخرين.

فعلى سبيل المثال، فإن فعل "ابتعد" يعني "نأى، أي ذهب إلى مكان بعيد، وهو عكس اقترب"، بحسب معجم المعاني الجامع. أما قاموس "ميريم-وبستر"، فيعرف التباعد على أنّه "خلق أو الحفاظ على حالة الانفصال الشخصي أو العاطفي عن أحد ما أو شيء ما". في عبارة "التباعد الاجتماعي"، إنّ الصفة "الاجتماعي" تعود على الاسم "التباعد"، وبالتالي فمن المحتمل أن تشير إلى شيء آخر غير المعنى المقصود بخلق مسافة مادية، وبما أنّ "التباعد" يوصف في هذا السياق بأنّه "اجتماعي"، فإنّه من الممكن تفسيره على أنه خلق مسافة بين الفرد والآخرين في إطار العلاقات الاجتماعية، أي تقليل التواصل الاجتماعي معهم بشكل عام.

وفي أعقاب الجدل الذي أثاره هذا المصطلح، اقترحت منظمة الصحة العالمية مؤخراً اعتماد مصطلح "التباعد الجسدي" كبديل (Tangermann، 2020)[24]. بالإضافة إلى " التباعد الجسدي"، فإنني أقترح مصطلح " الاختلاط المتباعد" أو "التواصل المتباعد" كبديلين آخرين. في حين أن المصطلحات الثلاثة تدعو إلى إنشاء مسافة حسية للحماية، فإنّ التركيز في المصطلحين " الاختلاط المتباعد" أو "التواصل المتباعد" هو على الحفاظ على تواصل اجتماعي رغم من مسافة الحماية المطلوبة، وهو أمر في غاية الأهمية في الوقت الراهن. ومن بواعث القلق أنّ حث أفراد المجتمع على تقليل التواصل فيما بينهم بشكل شخصي، فإنّهم قد يفشلون في تحقيق التواصل مع بعضهم بعضا عبر أي وسيلة أخرى، مما سيؤدي إلى تقليل الاختلاط أو التواصل الاجتماعي الفعّال بشكل عام، أو ربّما يقود الى العزلة القسرية، واعتبرت هذه الجائحة لدى العديد من العلماء عبارة عن اضطراب للمخيال الجمعي، تعطل جزئي لطقوس الدفن. يعرف

[22] **McKenna, M. (2007). Social distancing helped some cities endure 1918 pandemic.** ***Centre for Infectious Disease Research and Policy*** **(CIDRAP), 3rd April. University of Minnesota. Retrieved from this link.**

[23] **Park, R. (1924). The concept of social distance as applied to the study of racial attitudes and racial relations.** ***Journal of Applied Sociology,*** **8, 339-344.**

[24] **Tangermann, V. (2020). The WHO wants you to ditch the phrase "social distancing".** ***The Byte,*** **20th March.**

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

كاستورياد يس (Castoriadis) المجتمع كمخيلة جمعية مؤسسة تؤطر هذه الأخيرة تقريبا كل السولوكيات البشرية المعيارية، من أبسط التفاعلات اليومية إلى هيبة طقوس الدفن والتعامل مع الموت تنزع هذه المتخيلات المشتركة للثبات لأنّها تحد فوضى العالم وتؤطرها في نظام (Order) يسمح للأفراد بالتكهن بسلوك محيطهم، وتحيد أخطاره الروتينية الفعلية والمتخيلة[25].

حيث يتحول " التباعد الاجتماعي" إلى انقطاع التواصل الاجتماعي. إنّ المبادرات والخبرات الاجتماعية التي سوف تنتج عن هذه الحرب الصحية قد تساهم في تطوير أو تغيير الملامح الثقافية القيمية للمجتمعات كافة، خاصة مع زخم التفاعلات المتبادلة التي صاحبت مدة انتشار الفيروس، خاصة أن التكنولوجيا الحديثة -ومنها وسائل التواصل الاجتماعي-قامت بدور رئيسي في نشر الوعي، وتخفيف حدة التباعد الاجتماعي الذي طبق منذ ظهور هذا الوباء ، وسيؤدي ذلك إلى ظهور سلوكيات اجتماعية وتوجهات صحية جديدة، استجابة للوضع الحالي.

VI- تداعيات أزمة كورونا على البلاد :

كشفت جائحة كورونا عن تصدعات ومكامن ضعف هيكلية عميقة في عديد المؤسسات الاقتصادية فقد أدّى هذا الوباء إلى انكماش الاقتصاد وتعثر الاستثمار والسياحة والنقل بفعل الجائحة التي عمقت مأساة الفئات الاجتماعية الهشة في المجتمع(كبار السن، النساء، الطفال، الأفراد ذوو الإعاقة...) وإنّ هذه الصدمة التي أحدثها انتشار فيروس كوفيد19-في تونس، كانت مزدوجة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي تسببت في ارتفاع نسبة البطالة مشكل ملحوظ وخاصة في وصفوف الشباب ، كما تسببت في فقدان عشرات العمال لوظائفهم إما نتيجة تدابير الإغلاق الجزئي والكلي التي اتخذتها بعض المؤسسات الإنتاجية الخاصة أو نتيجة تسريح لعدد كبير من العمال في القطاعات الاقتصادية الأكثر تضررا، كما يعتبر النساء والعاملين في القطاع غير المنظم الخاسر الأكبر من تداعيات الأزمة.

وبذلك يمكن القول، إنّ طبيعة الصدمات الاقتصادية تتمثل أساسا في انخفاض العرض وانكماش الإنتاجية نتيجة إجراءات الغلق الكلي أو الجزئي لأماكن العمل والحظر إلى السفر، ساهمت في تراجع إنتاج البلاد بشكل مباشر وبالتالي تسبّبت في انخفاض الناتج الكلي وحجم التشغيل مما أدّى إلى تسريح شرائح كبيرة من الفئات العاملة. كما أنّ جانب الطلب، الذي تقلص بشكل كبير، نتيجة الإجراءات الاحترازية، وتقييدي حركة الأفراد والسفر، مما أدّى إلى تقليل حجم الطلب على الأيدي العاملة وكذلك بالنسبة للمستثمرين، حيث سادت حالة من الحذر والترقب تمنعهم من ضخ أية أموال في مشروعات أو استثمارات جديدة في البلاد. أما العامل الآخر فهو يتمثل في النطاق الزمني والمكاني إن كل الصدمات التي شهدها العالم في التاريخ الحديث كان لها نطاق جغرافي محدد،

[25] Castoriadis) Cornelius(,The Imaginary Institution of Society. The MIT Press, 1998. P16.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وكذلك إطار زمني بلغت خلاله الذروة ثم توقفت إلا أنّ فيروس "كورونا" أثبت صعوبة السيطرة على انتشاره ، فهو انتشر في كل أنحاء العالم تاركا أثار الصدمة على كثير الاقتصاديات ، دونما إطار زمني واضح من المحتمل أن ينتهي من خلاله هذا الوباء، وبالتالي هناك حالة من عدم اليقين حول مدى عمق الآثار الاقتصادية المحتمل حدوثها في جميع أنحاء العالم وهو الأمر الذي يولد بدوره سياسات وردود فعل يصعب التنبؤ بها[26] .

وشهدت تونس احتقانا اجتماعيا نظمته الفئات التي وجدت نفسها أحيانا دون أي مورد والمخاوف من تفاقم الوضع والانزلاق في عديد المخاطر بما فيها السلوكيات المحفوفة بالمخاطر. فقد عمقت أزمة كورونا مأساة السكان من حيث الازدياد في نسبة الفقر (21 %) سنة2021 بعدما كانت (15.5 %) سنة 2019[27]، كما تطورت نسبة البطالة من (15.3 %) %سنة 2019 إلى (18.4 %) سنة2021[28] وبذلك فالوباء عمق أزمة تونس في عديد المجالات.

وفي وقت أصبحت تكلفة المعيشة باهضه أكثر فأكثر مما كانت عليه قبل كوفيد-19 - وارتفاع عدد العاطلين عن العمل من جديد وبخصوص البطالة في صفوف الشباب بين سن 15 و24 سنة، فقد بلغت نسبة بطالتهم (40.8%): (40.4%) لدى الذكور و (41.6 %) لدى الإناث. إضافة إلى تضرر قطاعات هامة في البلاد كالسياحة والنقل والصناعة وعديد المؤسسات الصغرى والمتوسطة التي تعتبر المرتكز الرئيسي للاقتصاد الوطني. فعدم التمكن من تطويق هذه الأزمة والتحكم في انتشار الكورونا أدّى إلى نسبة نمو سلبي في الاقتصاد قدرت بـ (3%) خلال سنة2021 [29].

فقد كانت العدوى في البداية متأتية العائدين من الخارج ثم تحولت إلى عدوى أفقية فالحالات كانت أغلبها إصابات وافدة واتخذت بعد ذلك البعد الأفقي فتكاثرت حلقات العدوى بهذا الفيروس من العدوة المستوردة إلى العدوة المحلية وتوسعها شيئا فشيئا في البلاد إلى أن وصلنا إلى مرحلة «التفشي المجموعاتي» وبقيت المراهنة على وعي الأفراد هي الأساس في ظرفية دخلت فيها البلاد مرحلة انتشار العدوى المجتمعية، مرحلة يعسر فيها تحديد مصدر العدوى، وبقى الإشكال الحقيقي دائما في مدى وعي السكان الذي لا بدّ أن يتحسن من خلال تغيره المرحلي من السلب إلى الإيجاب.

[26] مصطفى الفقي وغيره، رؤى تحليلية ونقدية لتداعيات جائحة كورونا لعام 2020: مكتبة الإسكندرية، مركز الدراسات الاستراتيجية،مصر 2020. ص12.

[27] وزارة الشؤون الاجتماعية التونسية.

[28] المعهد الوطني للإحصاء.

[29] تونس تسجل نسبة نمو سلبي بـ3% خلال الثلاثي الأول من سنة 2021 ...الاقتصاد › https://www.ilboursa.com

.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وقد بينت أزمة كورونا الكثير مما كان مخفي في تونس، من هشاشة في بعض المؤسسات الرسمية وعدم قدرتها على التصرف جماعيا في هذه الأزمة، والافتقاد إلى التماسك الاجتماعي والتضامن المشترك بين الأفراد. إضافة إلى عدم الاستقرار السياسي وضعف الإنجاز من قبل الحكومات المتعاقبة بعد "الثورة" الذي ترجم في حجم الحركات الاجتماعية الاحتجاجية زمن أزمة كورونا. ورغم اقتضاء البروتوكول الصحي التباعد الجسدي إلا أنّ حركة الاحتجاجات الاجتماعية استمرت في أكثر من قطاع وفي أكثر من جهة. (اجتماعية، سياسية).

الخاتمة:

عادة ما يرتبط كسب الحروب على الجوائح بمدى تضافر جهود جميع طاقات المجتمع (طبية، اقتصادية، قيمية، ثقافية) وقد كشفت لنا كورونا أنّ الاستثمار في التعليم والصحة والبحث العلمي له الأولوية المطلقة فأثمن ضروب رأس المال هو ما يستثمر في التعليم وأنّ معالجة الأزمات الوبائيّة لا تتم بتحفيز العمل في المختبرات الطبيّة فقط، بل أهمية دراستها في مختبرات العلوم المتنوّعة.

وقد مرت تونس بفترة عسيرة ومنعطف حاسم زمن جائحة كورونا، يقتضي منّا التعلّم من هذه التجربة القاسية، عبر إعادة النظر في مجموعة من السياسات والأولويات، بما يكفل إرساء ركائز مجتمع جديد يتسم بالتعاون والتضامن، ولتحقيق تنمية مستدامة تقوم على تقاسم المعرفة والتكنولوجيا، دون استغلال منحرف لحقوق الملكية الفكرية للدواء أو احتكارها ضدا على أرواح البشرية، وتستحضر(التنمية) الإنسان كوسيلة وهدف، لمواجهة تهديدات ومخاطر شتّى، لم تعد تستثني مجتمعا دون آخر.

يبقي التخطيط أهم شيء على الدولة القيام به لتسير الامور بأقل التكاليف في جميع الميادين وأثبت انتشار وباء الكورونا بهذه السرعة والتحديات التي رافقته أنّه لا بديل عن دور الدولة الحامي الأساسي للسكان في اللحظات الحرجة، سواء كان ذلك من خلال الإجراءات والتدابير أو من خلال السياسات والقوانين التي تتّخذها لاحتواء الوباء الخبيث. وإنّ كسب الحرب على الجوائح البيئية يستوجب حشد جميع الطاقات: الطبية والاقتصادية والسياسية والقيمية والثقافية وتطوير آليات المشاركة الفردية والمجتمعية في الوقاية وتعزيز الصحة، من أجل تفادي الضغوطات الكبيرة على الخدمات العلاجية، بخاصة في ظروف ندرة الموارد المادية والبشرية. فقد أظهرت جائحة كورونا، أهمية الاستثمار في البنية الصحّية وتقوية نظمها لتطوير الاستجابة للحاجات المستجدة والتعامل مع مختلف الأوبئة المفاجئة وغير المرئية. وكل الأزمات الوبائيّة العالميّة يمكن التخلّص منها أو الحد من وطئتها بمدى قوة الهياكل الرسمية للبلدان وصلابتها من جهة، وبدور المؤسسات غير الرسمية (مؤسسات المجتمع المدني) في دولهم من جهة أخرى.

وبما أنّ الأزمات البيئية أصبحت تمثل تحديا لمختلف العلوم الكونية ولا يستطيع أي علم من هذه العلوم بمفرده تقديم حلول جذرية لهذه الجوائح الطبيعية فهل ستسعى بلداننا العربية اليوم إلى مزيد تشريك مختلف العلوم المجتمعية في دراسة المشكلات الطبيعية والبشرية وبذلك بلوغ مقترحات وتصورات استشرافية من شأنها أن تقدم بعض المعالجات الجذرية للمختلف الكوارث البيئية والأزمات الاجتماعية التي يمكن أن تحدث في المجتمع التونسي بصفة خاصة وفي المجمعات العربية بصفة عامة؟

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

البيبليوغرافيا:

أ- باللغة العربية:

- فليب سان مارك(1977)، مشاكل البيئة، معهد العلوم السياسية، باريس.
- أولريش بيك (2013)، مجتمع المخاطر العالمي، بحثا عن الأمان المفقود، القاهرة –المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى.
- ابن خلدون عبد الرحمان (1994)، المقدمة، الجزء الثاني كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الطبعة الأولى، الدار التونسية للنشر.
- عمر نادية و"غيره"(1997)، علم اجتماع الطبي المفهوم المجالات مصر.
- مصطفى التير(1988)، مجلة الوحدة العدد50، نوفمبر.
- على المكاوي (1988)، الجوانب الاجتماعية والثقافية للخدمة الصحية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- أسماء حسين ملكاوي و(غيرها) **(2021)** ، كورونا وعلم الاجتماع: أسئلة جديدة، أزمة كورونا ونعكاساتها على علم الاجماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية-جامعة قطر.
- مصطفى الفقي وغيره (2020)، رؤى تحليلية ونقدية لتداعيات جائحة كورونا لعام 2020: مكتبة الإسكندرية، مركز الدراسات الاستراتيجية،مصر.
- مراجعة القوانين والتشريعات النافذة ذات العلاقة بالكوارث وإدارتها ضمن منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة، مشروع دعم بناء القدرات الوطنية للتقليل من اثر الخطر الزلزالي لمنطقة العقبة الاقتصادية الخاصة – الأردن2009.
- **بـ: باللغة الأجنبية**

- Durkheim Emile (1977), Les règles de la méthode sociologique PUF.
- -Bloom Samuel W (1956), The doctor and his Patients, A Sociological interpretation, the free Press, New York.
- -To distance. (2020), Merriam-Webster. Retrieved from this link.
- -McKenna, M. (2007), Social distancing helped some cities endure the 1918 pandemic. *Centre for Infectious Disease Research* and Policy (CIDRAP).
- -Park, R. (1924), The concept of social distance as applied to the study of racial attitudes and racial relations. *Journal of Applied Sociology*.
- -Tangermann, V. (2020), The WHO wants you to ditch the phrase “social distancing”. *The Byte*, 20th March.
- -Castoriadis Cornelius(1998),The Imaginary Institution of Society. The MIT Press.

تـ: مو اقع الواب:

- السكان، الأمم المتحدة The United Nations-
- فضل الربيعي ، سوسيولوجيةكورونا ،. https://almashhadalaraby.com/news/
- جائحة فيروس كورونا – ويكيبيديا: (ووهان (Wuhan)
- جائحة كورونا،2019-2020-20221-2022: وزارة الصحة التونسية.
- انظرإحصائيات كورونا في العالم2019-2020-2021-2022-2023... Elaph https://elaph.com › coronavirus-statis
- ألان تورين: .(2020) فيروس كورونا جعلنا نعيش اللاّمعنى في بيوتنا.. وستكون هناك كوارث أخرى:حاوره: مارك باسيتس، ترجمة: توفيق السليماني06/04/2020 (06 جوان 2020)

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

- أزمة كورونا،2019-2020-20221-2022: وزارة الشؤون الاجتماعية التونسية.
- الاقتصاد › https://www.ilboursa.com ...تونس تسجل نسبة نمو سلبي بـ3% خلال الثلاثي سنة 2021.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved